الأستاذ: النذير ضبعي

السنة: الثانية

المادة: المدارس اللسانية

التخصص: دراسات لغوية

المحاضرة رقم 11

عنوان المحاضرة: المدرسة التوليدية التحويلية 02.

البنية التصورية ، من أحادية المكونات إلى دمجها:

ينظر تشومسكي لمختلف العمليات الذهنية التي ترافق عمليات التحليل اللغوي على أنها عمليات منفصلة، ولا تمت للتحليل اللساني بصلة، وهو الأمر الذي يخالف ما هو موجود عند أصحاب اللسانيات المعرفية الذين أولو هذه العمليات أهمية كبرى، واعتبروا الآليات التي تعمل بها كلا متكاملا،يضاف إلى ذلك التركيز على مختلف مباحث علم النفس كالإدراك والخيال والتصور وما إلى ذلك، وهي المباحث التي حيدها تشومسكي كما أسلفنا .

إننا الآن بصدد الحديث عن مقاربة جديدة مؤداها أن " معالجة الوحدات اللغوية وإنشاءها يقع إنجازهما بفضل عدد من القدرات الذهنية العامة التي لا تخص نشاط الإنسان اللغوي فحسب ،وإنما تهم مختلف الأنشطة التي يقوم بها في كل ميادين المعرفة وحتى في حياته اليومية "[1]، فهذا الطرح يعطي لمباحث اللسانيات بعدا شموليا يندرج ضمن مباحث علم النفس المعرفي، ويجعل الاستمداد من علوم كثيرة أمرا مشروعا كعلم الأعصاب وعلم التشريح وعلوم الطبيعة وغيرها، وهو الأمر الذي نرى دائرته ضيقة إلى أبعد الحدود في الفكر اللساني التوليدي وبخاصة إذا ما عددنا العلوم التي نهلت منها اللسانيات التوليدية و على رأسها الرياضيات .

---

[1] – عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2010، ص39

وتعتبر(البنية التصورية)،واحدة من أهم المباحث التي تميز البحث اللساني العرفاني عن البحث اللساني التوليدي، وكان تشومسكي قد ألح على انفصال الآليات اللغوية المسؤولة عن إنتاج وفهم اللغة في الدماغ، ما يعني أن إنتاج اللغة وفهمها عنده تتم على مستوى جهاز مفصول عن بقية العمليات الذهنية كالإدراك والخيال والتصور وغيرها.

غير أن الأمر عند العرفانيين بخلاف ذلك فكل العمليات الذهنية –بما فيها اللغوية –تتم على مستوى البنية التصورية، وهي "ليست جزءا من اللغة في حد ذاتها، إنما هي جزء من الفكر .إنها المحل الذي يتم فيه فهم الأقوال اللغوية في سياقاتها،بما في ذلك الاعتبارات الذريعية والمعرفة الموسوعية؛إنها البنية المعرفية التي ينبني عليها التفكير والتخطيط "[2]، وتخص البنية التصورية عند العرفانيين كل المعارف التي تتم صناعتها في الذهن ولها علاقة بتجارب الإنسان في المواقف الحياتية المختلفة، كما أن "مبادئ البنية التصورية تنسحب على معرفتنا بكل أنواع الدلائل واستعمالها .فهي تتعلق بتجاربنا الفكرية والجمالية والحسية مع اللون والحجم والهيأة والصوت ...إنها تهم مختلف أنساقنا المعرفية والإدراكية"[3].

يمكن أن نمثل لتصور إنتاج وفهم اللغة في المنجزين التوليدي والعرفاني بالمخطط الآتي :

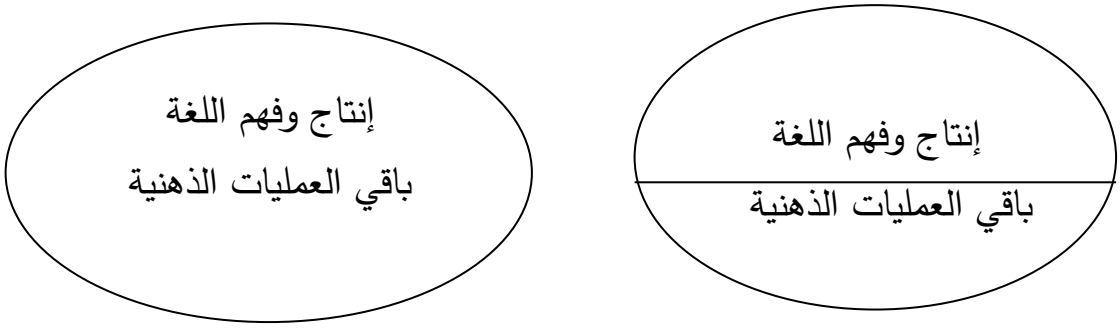

تصور تشومسكي تصور العرفانيين (البنية التصورية)

[2] – مجموعة مؤلفين، آفاق اللسانيات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011ص 57-58

[3] – محمد غاليم، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص92

ويمكن في هذا السياق رصد أهم نقاط الاختلاف بين المنجزين التوليدي والعرفاني وضبطها وذلك من خلال كتاب (النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة) على النحو التالي :

في اللسانيات التوليدية	في اللسانيات المعرفية
أ- الصواتة(أي تنظيم أصوات الكلام) والدلالة (أي تنظيم المعنى) مكونان تأويليان في مرتبة أقل من مرتبة التركيب الذي يحتل مكانة مركزية . ب- إنتاج وفهم اللغة يتم بمعزل عن بقية العمليات الذهنية	ت- الصواتية ليست مشتقة من التركيب وإنما تشكل نسقا من القواعد التوليدية ث- تخصص نظرية الدلالة التصورية المعنى باعتباره تمثيلات ذهنية مبنية في صورة تنظيم معرفي هو البنية التصورية وهي ليست جزءا من اللغة وإنما هي جزء من الفكر

وختاما فإن الملاحظ لمسيرة النظرية التوليدية وأهم المفاهيم التي ركزت عليها يلاحظ أن اللسانيات العرفانية لم تأت على أنقاضها، ولم تأت مباينة لها، وعليه فإن الأمر "لا يتعلق باتجاه لساني جديد مجاوز لقديم، ولا بما هو أكثر تطورا أو أقل قيمة، ولا بنظرية لسانية أحسن، ولا بنظرية أسوأ، إنما الأمر أن اللغة لتعقداتها وصعوبات حصرها تحتاج إلى مقاربات مختلفة، وهي مقاربات وإن ألحت على وجوه اختلافها، فكثيرا ما انتهت إلى ترسيخ أفكار مشتركة بينها، تعبر أكثر من غيرها على تقدم الإنسانية في فهم اللغة"[4].

[4] – مدخل إلى النحو العرفاني، مرجع سابق، ص9

إن تغيير بعض المفاهيم أو توسيعها لا يعني البتة حدوث قطيعة بين منجزات تشومسكي ومنجزات تلاميذه، فتركيز تشومسكي على مركب بعينه وإعطائه صفة المركزية له مبرراته التاريخية والمعرفية، وله أسبابه التي تصب في خانة تراكبية العلوم وصيرورتها، إذ لا يُتصور توقف عجلة اللسانيات التوليدية عند ما قرره تشومسكي في البنى التركيبية عام 1957 وبخاصة مع التطور المتزايد الذي تعرفه العلوم الإنسانية .

واللافت للنظر أن (جاكندوف) وهو أحد منظري اللسانيات المعرفية قد وُضع عنوة عند بعض الدارسين في خانة من خالفوا تشومسكي مع أن الظاهر من خلال أعماله المتأخرة (1997-2002) هو"سعيه إلى شرح إشارات تضمنها البرنامج الأدنوي، وتعميق النظر فيها ليتخذها سبيلا على إقامة تصور نظري يستمد حصانته من الخوض فيها بإثبات الانتماء إلى المؤسسة التوليدية، ويثبت خصوصيته وقوته ن موارد نظرية أخرى ليستوي في نهاية المطاف قاطرة تجذب البحث التوليدي إلى أرضية نفسية عرفانية موسعة.ولذلك نجد في كتاباته ما به يكون التابع المخلص لتشومسكي والخارج عنه في آن"[5].

وقد بدا جليا الآن أن اللسانيات المعرفية إنما حاولت جر اللسانيات التوليدية إلى حقل العلوم المعرفية التي وسعت مجال الدراسة أكثر ، كما أن أحد" الأهداف الرئيسية التي تتوخى نظرية الدلالة التصورية تحقيقها هو إعادة إدماج النحو التوليدي، بما في ذلك نظرية الدلالة في العلوم العصبية والمعرفية بكيفية تجعله يتلاءم بصورة طبيعية مع الهندسة الواسعة للذهن /الدماغ، وذلك وفاء بوعد قطعته اللسانيات التوليدية على نفسها منذ كتاب تشومسكي (مظاهر النظرية التركيبية) سنة 1965 الذي جاء فيه :لنلاحظ أننا لا نقصد طبعا أن وظائف اكتساب اللغة تنجزها مكونات منفصلة تماما في الذهن المجرد أو الدماغ الفيزيائي ...وبالفعل فمن مشاكل علم النفس الهامة أن نحدد إلى أي حد تقتسم مظاهر أخرى للمعرفة

---

[5] -الزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ص63.

خصائص اكتساب اللغة واستعمالها، وأن نحاول في هذا الاتجاه ،تطوير نظرية للذهن أغنى وأوسع "[6].

تلك هي الحقيقة التي ربما غيبت في كثير من الدارسات التي تخص اللسانيات المعرفية وهي الحقيقة التي تؤكد على أن الصلة بين المنجزين قوية متجذرة و إن تباينت كثير من البحوث في المنجزين، لكن الأطر العامة التي تحكم المنجزين واحدة ،وهو ما يجيز لنا العلاقة بينما بعلاقة الامتداد لا القطيعة .

[6] – آفاق اللسانيات، مرجع سابق، ص54.